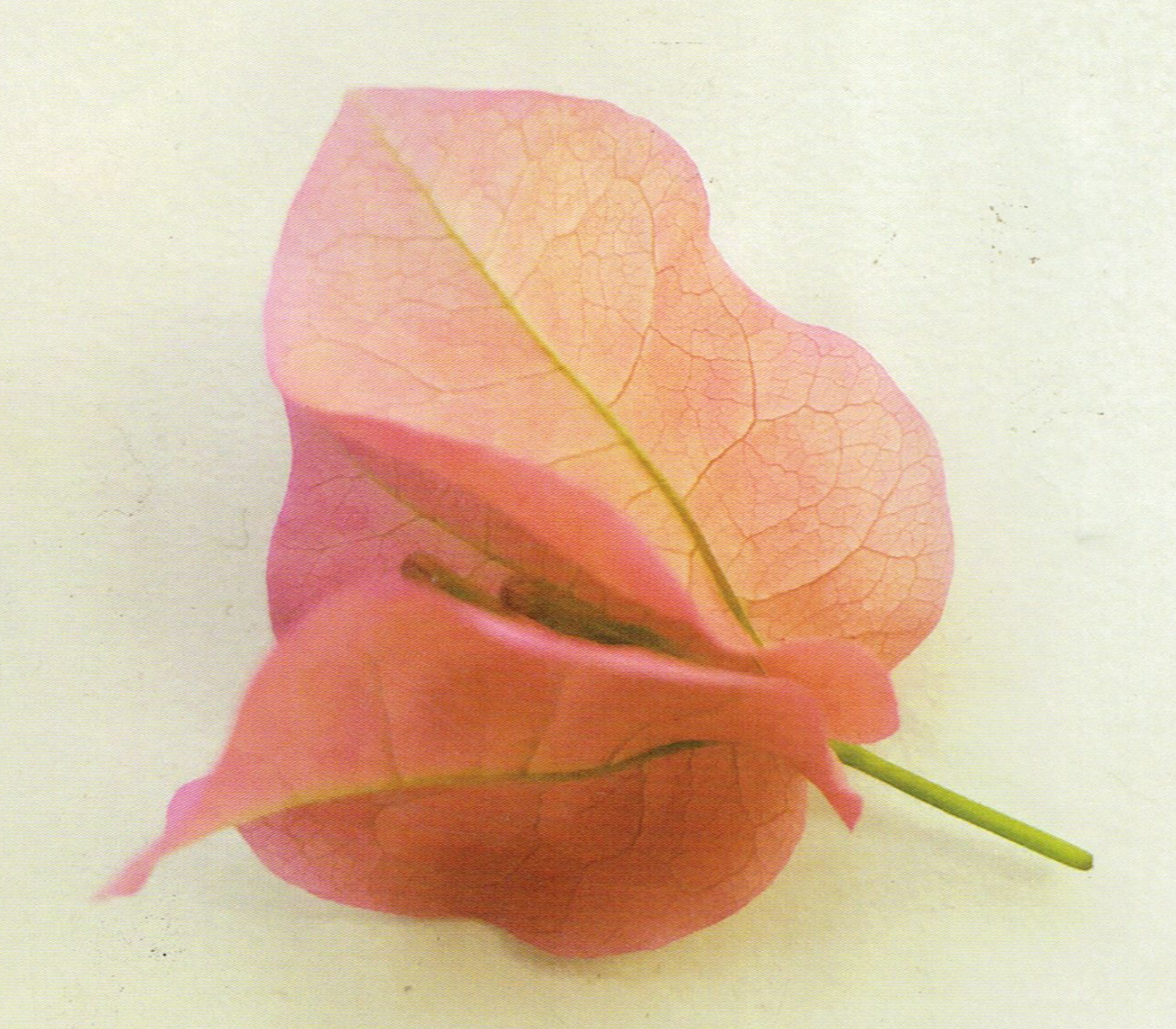
سنان أنطون

كما في السماء



منشورات الجمل

شعر


مكتبة المصباح للكتب الحصرية
https://www.facebook.com/BookLover8
https://t.me/BookLover8

سنان أنطون

كما في السماء

شعر

منشورات الجمل

سنان أنطون

شاعر وروائي وأكاديمي ولد في بغداد عام ١٩٦٧ وحصل على بكالوريوس في الأدب الإنكليزي من جامعة بغداد. هاجر بعد حرب الخليج ١٩٩١ إلى الولايات المتحدة حيث أكمل دراساته وحصل على الماجستير من جامعة جورجتاون عام ١٩٩٥ والدكتوراه في الأدب العربي من جامعة هارڤارد بامتياز عام ٢٠٠٦. وكتب أطروحته عن شعر ابن الحجّاج ونُشرت في كتاب عام ٢٠١٣ بالإنكليزية عن دار بالغريف ماكملن.

له أربع روايات: «إعجام» (٢٠٠٣)، «وحدها شجرة الرمان» (٢٠١٠)، «يا مريم» (٢٠١٢)، «فهرس» (٢٠١٦). وتُرجمت أعماله إلى اثنتي عشرة لغة. وله مجموعتان شعريتان: «موشور مبلل بالحروب» (٢٠٠٤) و «ليل واحد في كل المدن» (٢٠١٠).

شارك في إخراج وإنتاج فيلم وثائقي عن العراق بعد الغزو بعنوان *About Baghdad* (حول بغداد) صوّر في بغداد في تموز، عام ٢٠٠٣.

ترجم «في حضرة الغياب» لمحمود درويش إلى الإنكليزية (دار آرشيبيلاغو، ٢٠١١) وفاز بجائزة أفضل ترجمة أدبية في الولايات المتحدة وكندا من جمعية المترجمين الأدبيين. كما ترجم مختارات من أشعار سعدي يوسف صدرت بعنوان «أيهذا الحنين يا عدوي» (دار غريوولف، ٢٠١٢). عمل أستاذاً للأدب العربي في كلية دارتموث (٢٠٠٣-٢٠٠٥) ويعمل أستاذاً للأدب العربي في جامعة نيويورك منذ عام ٢٠٠٥. نشر العديد من المقالات والدراسات الاكاديمية عن الشعر العربي الحديث وعن التاريخ والسياسة في العراق.

سنان أنطون: **كما في السماء**، شعر، الطبعة الأولى

تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

صلاة

(من إنجيل العراق الضائع)

عراقنا الذي في الهباءات،
ليَتَقَدّس اسْمُكَ،
ليأتِ جحيمكَ،
لتكُنْ مشيئتُكَ،
كما في السماء
كذلك على الأرض.
موتنا كفافنا
أعطِنا كلّ يومٍ
ولا تغفر لنا خياناتنا،
لأننا لا نغفر لمن خاننا.

ولا تدخلنا في التجربة،
فقد تعبنا. . .

آمين

في البدء

في البدء كانت الطعنة؛
خَلَقَ الخنجرُ الجرحَ
على صورته
ثم ابتعد
يبحثُ عن جسد
آخر
وبكى الجرح
أربعين يوماً
ثم التأم
صار قلباً
وزحف
يبحث عن جسد
آخر

الإله الجديد

نظرنا إلى الخارطة
كلّ هذه الأنهار عبرناها
بحثاً عن الإله الجديد
قال الكهنة
إنّه ولد من أجلنا
وحين اهتدينا إلى موطنه
أبصرنا بشراً، مثلنا، يشيّعونه
في مواكب مهيبة
مشينا معهم
حدّثونا
عن كلّ تلك الأنهار التي عبروها
بحثاً عن الإله الجديد
الذي قال الكهنة
إنّه مات من أجلهم

من الأناجيل الضائعة

بكى لعشرة آلاف سنة

كي يملأ البحار

ثم هاجر بعيداً

لم يترك عنواناً

ولم يبعث أنبياء

لا شيء سوى

هذا المطر

والريح

من اعترافات حواء

كنتُ صوتَ الرّيح
وحين تَعِبَتْ
ترجّلتُ عن أضلاعها
وتركتُها ضائعةً
تبكيني
في كلّ مكان

مشيت على الماء
ألف عام
ثمّ خلقتُني
على أديم الأرض
وعندما شعرتُ بالضجر
خلقتُ آدم
أمّا الله
فكان دعابة

بعض ما قالته الأشياء ليلة رأس السنة

حربٌ لأخرى:
عسى ألاّ تكلّي
وأن يكون حصادنا وفيراً

كتابٌ لجاره:
عسى أن يتذكّرنا أحدٌ
وتداعب أصابعه أوراقنا
ليوقظنا من الغبار
ولو للحظة

شجرة لأخرى:
أتمنّى أن نظل معاً
وإن قصم ظهرنا منشار
فعسى أن تكون أشلاؤنا قريبة

فربما نصير كرسيين
حول طاولة أنيقة

غيمةٌ لأخرى:
أتعبت من السفر؟
لا عليكِ، عمّا قليلٍ ننام في البحر
وننسى
أنّنا كنّا

البحر لنفسه:
مللت هذه الشطآن
ومن عليها
ليتني أصير غيمة
لأهاجر إلى أرض جديدة

مشْهد

الشمسُ تزاول مهنتها بحياد

السماءُ صامتة

(الغيوم هربت)

الريحُ متعبة

ومشتّتة

الأشجار تحصي

الجثث المسجّاة

بريد غير مستعجل

وحدي هنا

أتسكّع

في مجرّة مقفرة

لا شهاب ولا . . .

وحين

يصل ضوئي

إلى عيونكم

سأكون قد انطفأتُ

وستكون عيونكم

رماداً

يتسكّع في الريح

في حياة قادمة

في حياتي القادمة
لن أكون «أنا»
سأكون زهرة بريّة
تستلقي على سفح تلّ بعيد
تستريح عليها الفراشات
قد يقطفها طفل
لا يعرف الحروب
يأخذها إلى أمّه
يضعها بين نهديها
تقبّله
تشمّني
وأشمّها
. . .
في حياتي القادمة
لن أكون

قطار الموتى

في قطار الموتى
لا حاجة للتذاكر
ثمّة ملاك يبتسم
ويهمس: «ستكون رحلة قصيرة.»
ثم يشير إلى حجرة خالية
السرير من رذاذ
الوسائد محشوّة بنديف الغيوم
الأحبّة يقفون
على رصيف المحطّة
ملوّحين

يتحرّك القطار
لا أسمع صوته
لا أسمع شيئاً

في الحجرة المجاورة رجل
يحتضن رأسه المقطوع
ويبكي

وشوشة

الرجل الذي سكنني
كلّ تلك السنين
وشوشني قبل أن يموت:
«أريد أن أظلّ هنا،
معك»
وها أنذا أحمل رفاته معي
وكلّ صباح نرتدي
كفناً جديداً

فراشة سوداء

هذه الفراشة السوداء

دقيقة هاربة

من ليل ميّت

تبحث

عن وردة

لتضعها على قبره

لكنّها بلا أصابع

والورد ثقيل

خريف

بعد آخر ورقة

قالت الشجرة:

نزفت كل ما عندي

اليوم

وأكملتُ لك

خريفك

زيارة

أتردّد كثيراً
على قبري
فهو قريب
وسرّيّ
لا يعرف موضعه أحد
إلاّيّ
لا أصلّي عليه
لكنّني قد أذرف دمعة أو اثنتين
بلا سبب
وفي الأيّام السعيدة
أقطف زهرة
وأضعها على الشاهد
في عروتي
وأبتسم

قلب ثقيل

أخيراً فهمتُ أنّ القلبَ صندوق. أُفْرغه من أحزانه وأملؤه بالفرح متى ما شئت. لا أنجح دائماً. أحياناً يصبح أثقل مّما يمكن حمله، وتحمّله. فأضعه جانباً وأتكئ إليه لدقائق. ثم أنهض وأحمله من جديد.

لا أريد أن أظلمه. فهو يخفّ أحياناً. يفرد جناحيه ويطير في الأعالي. فيذكّرني بأنّني عشّه.

لكنّ هذه محض أوهام تلائم القصيدة.

الحقيقة هي أن القلبَ رفٌّ طويلٌ تجثم عليه صناديق ثقيلة.

لا أجنحة ولا . . .

غبار وألم.

كذبتُ ثانية، من أجل القصيدة طبعاً.

سأقول الحقيقة الآن، فنحن نقترب من السطر الأخير.

لا أعرف شيئاً عن قلوبكم أنتم.

لكنّني أعرف أن قلبي قصرٌ قديم وشاسع، حتّى أنني
كنت أتوه فيه فيما مضى.
أمّا الآن فحجراته وزواياه كلّها معبّأة بمئات الصناديق.
ولم تبق فيه إلا هذه الفُسْحة الضيّقة، قرب الباب،
حيث أتقرفص الآن.
وأكتب هذه القصيدة.

دورة

يبدأ اليومُ يومَه الأوّل بأمل. يحلم، وهو ينظر في المرآة، أن يكونَ:
يوماً آخر.
سيسجّل حدثاً رائعاً، أو أكثر، باسمه، ليخلّده. سيغيّر العالم وسيوقظ البشر من هذا الليل.
يدور اليوم حول الأرض.
ونراه يعود في ساعاته الأخيرة.
متعباً كمشرّد رثّ المنظر. وقد أعماه الدم.
يعود وقد عرف أنّه مجرّد يوم...
آخر.

تفكّك

قال الجسد، أو صوتٌ يَنْتحلُ هويته: «اذهبوا، فأنتم، منذ الساعة، أحرار.» طارت العينان بعيداً، والتحقتا بأسراب العيون التي ملأت السماء وكادت أن تحجب ضوء الشمس. الشفتان افترقتا بلا وداع؛ واحدة تبحث عن وجه جديد، والأخرى عن شفة تصغي إلى شكواها. أخذ اللسان المتعب يفتّش عن فم رجل أخرس يرتاح فيه. صفّقت اليدان، ثمّ لوّحتا لبعضهما البعض وهما تبتعدان. بدت الساق اليمنى خائفة ومتردّدة، ثم سارعت لتلحق بالأخرى. سقط الأنف على الأرض... وهكذا...

أمّا القلب فقد ظل وحيداً، ينبض، حتى دعسته قدم تائهة في الظلام.

من يوميّات شبح

عندما متّ وكنت في طريقي إلى المقبرة، قيل لي إنّ حياتي، كشبح، ستكون رائعة وإنّها ستعوّضني عن البؤس الذي عشته قبل الموت.

«ستنام النهار كلّه في قبرٍ مريحٍ لك أن تتقلّبَ فيه كما تشاء. ستتفادى الزحام والمواصلات والبؤس اليومي. ستستيقظُ في الليل وتتجوّل بحريّة في مدينتك دون أن يستوقفَكَ أحد ويطلب منك هويّة. يمكنك أن تعبر الشارع متى ما أردت فلن تضربك سيّارة. يمكنك أن تخالف كل القوانين وتسافر إلى أي بلد بدون تأشيرة دخول. لن تجوع أو تعطش ولن يمسّك حرّ أو برد. ولن يقتلك أحد لأنّك ميّت. وسيكون بإمكانك، إن شئت، وهذا هو الأهمّ، أن تنتقم أخيراً من أعدائك. فمجرّد ظهورك سيقضّ مضاجعهم. أولئك الذين ظلموك وسرقوا عرق جبينك وقتلوك أنت وأولادك.

ستتلذّذ بتعذيبهم على هواك وتحوّل لياليهم إلى جحيم. ستدخل بيوتهم وتعيث فيها فساداً. يمكنك أن تُفْزِع أطفالهم في الليل كي يتبوّلوا في فراشهم. ستكون أنت السيّد وستراهم، جميعاً، يركعون أمامك كالكلاب، أو يهرعون إلى طبيب نفسانيّ دون أن يخبروا أحداً بأنهم أبصروك خوف أن يتّهموا بالجنون. ولن تنفع كل الوصفات والحبوب التي سيأخذونها. وستعود قبيْلَ كلِّ فجرٍ إلى قبرك منتشيّا بجبروتك تدندن أغنيتك المفضّلة وتخطّط لليلتك التاليّة.»

منذ سنين وأنا أتسكّع في شوارع مدينتي كلّ ليلة. لا يبصرني أحد ولا أحد يخافني، ولا حتّى الأطفال. أما الذين قتلوني فقد تضاعفت ثرواتهم وكبرت كروشهم. أضيع أحياناً في بيوتهم الكبيرة، لكنّي غالباً ما أجدهم يحتفلون حول موائدهم العامرة ولياليهم متخمة بالضحك. لا يأبهون لمروري ولا لمكوثي. أقفُ عند أسرّتهم وأصرخ بكل ما أوتيت من قوّة في آذانهم فلا أسمع سوى شخيرهم يعلو. كلابهم هي الوحيدة التي تحيّيني أحياناً بنباحٍ أو بهزّة ذيل عندما أخرج في أولى ساعات الصباح خائباً من فشلي.

القبر أضيق بكثير مما تخيّلت. ولم أنم منذ أكثر من سنة. نصحني جاري بأن أستشير طبيباً نفسانيّاً. قال إنّه كان مثلي يعاني كثيراً في السنين الأولى. ثم آمن بالأمر الواقع وبأنّا خُدِعنا مرتين. سأراجع الطبيب غداً.

بطاقة من العالم السفليّ

لم أر الشمس أبداً
فهي لا تشرق هنا
أبي رآها، هناك، قبل موته
كم حدّثني عنها
وعن لهبها المشتعل منذ الأزل
قال إنّها مثل شمعة
أوقدتها الآلهة
لكنها لن تنطفئ أبداً
كما ستنطفئ هذي التي أحملها
هنا
هو الذي علّمني
كيف أعيد تركيب هذه الأجساد
وأغطّيها بالريش
كي يهيم أصحابها في الظلام

أحياناً تظلّ ذراع أو ساق
فأركنها في إحدى زوايا المحل
بانتظار أكوام اليوم التالي
سأسأل أبي
عن العين التي علّقها على الجدار
قبل أسبوع
لم تتوقّف عن ذرف الدموع
أتراها تحنّ إلى أختها
أم إلى الشمس؟

رسالة إلى جدّي

أيّها السلف الصالح،

تحيّة طيبة وبعد،

لا أدري إن كانت هذه الرسالة ستجد طريقها إليك. فلا أدري أين استقرّت عظامك، هذا إن بقي منك شيء. لا بأس. أخاطبك في سرّي منذ سنين وأجادلك بلغتي التي تختلف بالتأكيد عن اللغة التي كنتم تتفاهمون بها. لكنهم يقولون هذه الأيّام بضرورة أن نواجه أعداءنا وأحبابنا، على حد سواء، و أن نفضفض. أتفكّر في تبعات ما اقترفتَه وكيف تغيّر كلّ شيء بعدها. ولهذا قرّرت أن أخطّ هذه الرسالة إليك. أريد أن أخفّف من وزري. لديّ الكثير من الأسئلة والاستفسارات، لكن لا بد أن أبدأ بالعتاب. والعتاب، عندنا، على قدر المحبّة.

بين حين وآخر ينشرون خبراً هنا وهناك عن اكتشاف جديد، أو نظرية تفسّر القرار المصيري الذي اتخذته

أنت وبعض رفاقك ذات قرنٍ، فيلحّ عليّ السؤال: ما الذي دهاك يومَها؟ ولماذا تنازلت عن العرش؟ لماذا، بالّله عليك، هجرتَ الأشجار التي كنت تتقافز بين أغصانها؟ يقول الراسخون في العلم إنّك فعلتها بحثاً عن الزاد أو عن أعشاب لتلتهمها. إذاً، كانت المنافسة الضارية وضنك العيش وليس حب الاكتشاف، كما يدّعون، هو الذي جعلك تقف على قدميك (ما زال هذا يوجع ظهورنا اليوم!) وتحاول أن تستقيم كرمح. وانطلق أحفادك وأحفادهم ينهبون الآفاق نهباً، حرفيّاً ومجازيّاً. فركضوا وركضوا آلاف السنين حتى وصلوا إلى الكهوف التي ما زلنا نحترب في ظلامها. نقشنا الكثير على جدران الكهوف يا جدّاه. ومازلنا نسقط من يومها في هاوية بلا مستقرّ. آهٍ لو أنّك اعتصمت بذاك الغصن في الأعالي لخلّصتنا من هذه الهاوية ولما كنتُ كتبتُ هذه الرسالة على جدرانها.

مع بالغ الأسف
سنان أنطون

فشل إلهيّ

كان يجلس في الصفّ الأول في مدرسة الآلهة في مجرّة بعيدة ويتابع الأستاذ بخشوع. يكتب كل كلمة تخرج من فمه. كان إلهاً مواظباً. حفظ أسرار الخلق كلّها عن ظهر قلب، لكن كانت تنقصه الموهبة. وهكذا، عندما أُعطي هذا الفراغ الهائل بعد التخرّج شرع يحاول أن يخلق الشمس كما تعلّم في سفر التكوين. لكنّه بدأ يخلق نجوماً ميّتة، فيلقي بها خجلاً في سلّة المهملات الأزليّة. وبعد آلاف النجوم أفلح في خلق شمس واحدة. ثم جاء دور القمر.

لكن ذلك تطلّب أكواماً من الثقوب السوداء، والأقمار العرجاء، التي تشرّدت في ضواحي الكون تغطّي أجسادها.

فراشة

كم عدوت وراءها

في حديقتنا ببغداد

لكنّها كانت دائمة الهرب

واليوم

بعد ثلاثة عقود

وفي قارّة أخرى

تحطّ على كتفي

...

زرقاء

كأفكار البحر

أو دموع ملاك

يحتضر

جناحاها ورقتان من شجر

الجنّة

لماذا الآن؟

أتراها تعرف
بأنّي لا أعدو
وراء الفراشات
بل أراقبها بصمت
وبأني أعيش
كغصن مقطوع؟

طفل الأپاچي*

«الحصانُ المجنونُ» لم يكُنْ حصاناً. كان طفلاً من الأپاچي سمّتْهُ أُمّه «الحصان المجنون» لأنّه كان يعدو كالريحِ. يسْتَعْجِلُ الفُصولَ كي يكْبرَ ويدافعَ عَن الأپاچي. في الليل يراودُهُ حلمٌ واحدٌ: أنْ يكونَ طائِراً شَرِساً يحلّق في كبد السماء، يُعَشْعِشُ في الغيوم، ويَنْقَضُّ على الرّجُلِ الأبيض الذي صاد أجدادَهُ كالغزلان وشرّدهُمْ في أريزونا. لكنَّ الحمّى طاردتْ، ذاتَ قمرٍ، روحَ الحصانِ المجنون حتّى هجرَتْ جَسَدَهُ واستقرّت في غيمةٍ عابرة. بينما نام جسدُهُ في حفرة أغمضت عينها دون أن يُصْبِحَ ذاك الطائر الشرس. كان ذلك قبلَ ثلاثِ سنوات من هزيمة الأپاچي الأخيرة، حين حاصرَ خمسةُ آلافِ جنديٍّ جيرونيمو ومن بقي معه واقتادوهم مصفّدين (من سكيليتون كانيون، أريزونا، في الرابع من أيلول عام ١٨٨٦) وكلُّ ما تبقّى منهم اليومَ مُخَيّمات على هامشِ التاريخ.

هل تموت الأحلام عندما يموت أصحابها؟ أم أنّها تهيم
في الليل بحثاً عمن يحلمها من جديد؟

هل تصبح كوابيساً في ليل الآخرين؟
فأسراب الأپاچي ما زالت تحوم كل يوم
والصيد مستمرّ

* الأپاچي، اسم قبيلة السكان الأصليّين في قارّة أمريكا، أطلق أيضاً على الطائرات المروحيّة الهجوميّة التي يستخدمها الجيش الأمريكي.

منام الطفل السنجاري*

هو الذي رأى كلّ شيء. هو الذي رأى، قبل أن ينام، جدّته تتضرّع إلى االله بيديها وشفتيها المشقّقتين. ولم يفهم لماذا لم يستجب ذاك الذي في الأعالي. هل تبخّرت الكلمات في طريقها إلى الأذن الإلهيّة؟ هل كان على جدّته أن تتضرّع بصوت أعلى؟ هل. . . ؟

هو الذي رأى كلّ شيء. هو الذي رأى، طيراً سماويّاً يأتي من كبد السماء. يهبط ببطء وكأن قمّة الجبل عشّه، وكأنّه صغيره. احتضنه واحتضن جدّته بحنوّ ثم حملهما، ومن معهما، وأخذ يرفرف بجناحيه العظيمين.

هو الذي رأى كلّ شيء. هو الذي رأى. . . رجلاً ملثّماً يقف في كابوس الطفل الذي كان ينام بجانبه.

رآه يطلق حمماً تحرق الطير السماويّ وتسقطه في منامه.

هو الذي رأى...

* أو الموصلي... أو

مزمورٌ للشهداء

لا يذهبُ الشهداءُ إلى الجنّة
فأبوابُها موصدة منذ قرون
والتُجّارُ الذين اشتروا أنهارَها
ينظرونَ من الشرفات العالية
إلى الطوابير الطويلة
وحشود المشَرَّدين
في الخارج

لا يذهب الشهداء إلى الجنّة
بل يختارون صفحات الكتاب
السماويِّ
كلٌّ على طريقته
طَيْراً
أو نجماً

أو غيمةً

ويُطِلّون علينا

كلّ يوم

يبكوننا

نحن الذين لم نزلْ

في جَحيم

حاولوا إطفاءهُ

بدمهم

مزمور: حنينٌ إلى الضوء

ضع أذنك اليمنى
أو اليسرى
على الأرض
وانصتْ

هل تسمع الأقمار
وهي تختنق بالتراب؟

الأشجار تشهقُ
تمدّ جذورها
لتقبّل جباه الموتى
الجدد
الأغصان ترتعشُ
وليس لدى الريح

ما تقوله
الآن

الليل في حداد
لكن شفاهاً أخرى
ستستيقظ غداً
لتردّد
ذات الكلمات
وتقبّل الشمس

شمس جديدة

كل دمعة
نائمة
ستستيقظ
وتبحث عن أخواتها
ليصبحن نهراً

كل صوت
سيقوم من قبره
ويبحث عن حنجرة
يبني بها عشّاً
لهتاف ما

كل كلمة
تحلم

بأن تقف في تلك الجملة
التي نحرث بها السماء
لنزرع شمساً جديدة

رازقي

زهرة الرازقي تتثائب
لا تخافُ من أصابعي
ولا من فراشة صفراء
تحوم حولها
وتهرب بعيداً
حين أمد يدي

الريح خجلى
والصباح طفلٌ،
مثلي،
سيرحل
مثل كل الصباحات
ولن يستوعب معناه
حتى بعد أن يصبح ذكرى
صباحٍ

يُستعادُ في قارّةٍ أخرى

حين أمد يدي

إلى ذاكرة الحديقة

التي تجثم الآن

تحت جبل من الطابوق

لأقطف

زهرة الرازقي

ثلاث زنابق

ثلاث زنابق،

أم ثلاث أمّهات؟

. . .

ثلاث زنابق:

الأولى تفتّحت

كأن بتلاتها البيضاء تتضرّعُ

تسألُ إلهاً ما

عن أولادها

الثانية انحنتْ

يكاد ظهرها ينكسرُ

إذ تبحثُ في الأرض

عن ميسمها

الثالثة مازالت
تخبّئ وجهها
تحت وجهها
وتبكي
أتراها تعرفُ؟

ثلاث زنابق
مقطوعة السيقان
والماء نزر
في أصيص زجاجيّ
ووراء زجاج الشّاشة
ثلاث أمّهات
سوريّات

الكاردينال

الكاردينال المهاجر
ينتظر في الخارج
قرأت أنّه في طريقه إلى الجنوب
جبّته الحمراء مهيبة
لكنه يقف وحيداً
بلا حاشية
ولا مصلّين
لا يحمل إنجيلاً
ولا صليباً
بل منقاراً وأجنحة
«أخفّ ما لم من زاد أخو سفر»
والسماء كلّها كنيسته

* الكاردينال: طائر أحمر اللون.
** «عريان يحمل منقاراً وأجنحة/ أخفّ ما لم من زاد أخو سفر» (الجواهري).

أسمعها الآن

ربما زلّت قدمها وسقطت
عن درجات السلّم
الموسيقيّ
وهي تزحف الآن
مثل جنديّ
سيموت وحيداً بعد قليل

ربما راوغت
أصابع العازف
لتطير بعيداً
وحدها
بحثاً عن أغنية أخرى

ربما قطع أحدهم لسانها
لأنه ظنّه وردة

وهي الآن تئنّ
وتنزف في الظلام

هل رأيتموها؟
تلك النغمة الشاردة؟
لم أرها قطّ
لكنّي أسمعها الآن
بوضوح

شهادة ولادة

«أهو طائر جريح؟ هذا الذي يحتضر بين ساقي امرأة، تتّكئ جثّتها على جذع سدرة عملاقة؟ كلما رفرف جناحيه الصغيرين يرشان بقعاً صغيرة من الدم على وجهها. يحوم الذباب حول فمها الفاغر بينما تبحلق عيناها في الجحيم... لكنّه يئنّ ويبكي مثل بني البشر. كلا، ليس طائراً، بل ملاكاً صغيراً بجناحين. كما في لوحات العصور الوسطى. لكنّه ملطّخ بالدم! جفل حين رآني وحاول أن يخبّئ وجهه بين فخذيها. لمحت سكيناً ملوثة بالتراب والدم قرب قدمها اليمنى. اقتربت والتقطتها. أمسكت بالملاك من جناحيه ورفعته. كان يرتعش مثل أغصان السدرة. قطعت الحبل السرّي الذي يربطه بأمّه. طار صراخه إلى السماء. قرّرت أن أخلّصه من جناحيه أيضاً. فقصصتهما وأنا أردّد «السماء ليست آمن من الأرض.» حين وضعته على الأرض أخذ يزحف... بعيداً، باحثاً عن فريسته الأولى.

العالم السفليّ

ثم جاء اليوم
الذي تعبت فيه الأرض
ونضبت معادنها
ففقدت الجاذبيّة
لم تعد أوراق الأشجار
تسقط
ولا الطيور الميّتة
بل ترتفع كلها
وتهيم في السماء
السماء
التي أضحت شاشة هائلة
للعالم السفليّ

فسفور

عندما كنت صبيّاً
كانت تزين ذيل درّاجتي
قطعة فسفور حمراء
تتألّق في الظلام
كعين قطّة
كلّما
أبصرت أضواء السيارات
البعيدة

حبيبات من الفسفور

الفسفور الأبيض
أضاءت سماء الفلّوجة
قبل سنوات

واليوم

يولد الأطفال هناك

برأسين

أو بلا عيون

سفر الخروج

انتهى الملائكة من مهمتهم
وسُدّت الكوّة الأخيرة في السماء بالأحجار
في الظلام تصاعدت صرخات: أن اخرجوا من هنا
يا بني البشر
فهذا بيت الرب!
الأنبياء وحدهم
يحملون الفوانيس

الأغنية العمياء

الأغنيةِ العمياء ذاتها
تقطع صمتي
في هذا الوقت من كلّ صباح
أمس كان يحملها طير
وقبله فراشة
واليوم أراها تضع يدها بيد غيمة
لا أعرف إلى أين تذهب
ولا متى تعود
كلّما حاولتُ أن أرافقها
في رحلتها
تدفعني بعيداً وتقول:
«ليس بعد»

بلا كلمات

بلا كلمات
هذه المقطوعة الموسيقيّة
لماذا؟
هل كانت طفلة يتيمة
لم تتعلّم أية لّغة
فلم تصبح أغنية؟

أم أنّها كانت ذات يوم أغنية
هربت من حرب
وغرقت كلماتها في البحر؟
أو لعلّها تركتها في بيتها
الذي صار ركاماً؟

هل هجموا عليها
كسّروا شبابيكها وسرقوا كلماتها؟

أم أنّها آثرت الصمت؟

ثوب

بخيط الكلمات
وإبرة عيني
أخيط هذا الثوب
للصمت

ألظم غمامة تائهة
بريشة طائر منقرض
غبار نجمة
بوريقة سقطت من ريح

أخيط هذا الثوب
وألبسه ملاك العدم
الذي يقف أمامي
لا يروق له

فيرميه أرضاً

ويتثاءب

أستلّ خيطاً آخر

وهكذا

يحدّقون بنا

احتشدت النجوم في السماء
كأنها جموع تتظاهر ضدّ الظلام
«ليست نجوماً،
كما تظنّ!»
قال لي
«ما هي إذاً؟»
«حين
يموت القتلى
تتحلّل أجسادهم،
لكنّ عيونهم تهرب
تطير عالياً
وتستقرّ في السماوات
إنّهم ما زالوا يحدّقون بنا»

ريشة

(إلى ابتسام)

هذه الريشة
هل سقطت
من جناح طائر مهاجر
كي يخفّ حمله؟

أم أنّها كلّ ما تبقى
من وليمة
ثعلب جائع؟

هل هي حرف
من لغة لا أفهمها؟

أسألها: «ما اسمك؟
هل تحنّين إلى الجناح؟»
لا تجيب

سأحملها
وسأسمّيها «أنتِ»
وأجعلها عماداً
لخيمة القصيدة

مشهد آخر

طابور طويل
يقف فيه الأنبياء
ينتظرون رواتبهم التقاعدية
تأخّرت الملائكة

هجوم انتحاريّ في الجنّة

معرّيّة

سبع سنين
وأنا أخيط أجساد الموتى إلى الأرض
تقرّحت أصابعي
رمدت عيناي
احدودب ظهري
وآن لي أن أستريح
فهلّا خطتموني إليها؟

ننتظر

وجهي صورة قديمة
معلّقة على جدار غرفة مقفلة
في بيت مهجور
هذا العنكبوت جاري الوحيد
يبدأ يومه
هامساً:
«ما زلتَ هنا؟
سأنسجُ لنا شبكة جميلة
وسننتظر»

تعريف

السماء مكتبة للنجوم
والملائكة يطيرون بين الرفوف

تابع الريح

الريح تقلّب أوراق الشجرة
تمزّق ما لا يعجبها
وأنا ألملمُ ما استطعت
أحمله على ظهري
وأتبع الريح

احتميتُ بجذع شجرة كافور
فهمستْ: «أنا أمُّكَ»

بعد سنتين عدتُ لأشكرها
وأشمّ عبقها
فرأيتُ عمارة

بوق الملاك

«وجعلنا نومَكُم سباتاً»
«يومَ يُنْفَخُ في الصّورِ فتأتون أفواجاً»

يدُ الريحِ تراقصُ
بوقَ الملاكِ
لا تنفخُ فيه
فهذا البوق ليس من عظم
أو نحاس
. . .
لستُ إسرافيل
وحتى لوكنتُ
لما نفخت في بوق الملاك
سأدعه للذبول

ليقطفه
وسأترك الموتى ينامون
إلى الأبد

* «بوق الملاك» Angel's Trumpet زهرة.

فُسحة

في بيلاجيو
كان باب المقبرة مفتوحاً
فدخلتُ
ضيفاً على الموتى
غريبٌ أنا
لا أعرف أحداً هنا
وقبور أهلي في البلاد البعيدة

صمتٌ
أزهار ذابلة على الرخام أو الحجر
وعشبٌ
يسامر من لا يزورهم أحد
على الشواهد أسماء
كل اسم تتبعه سنتان

يدان

واحدة تخرج المرء من الرحم

وأخرى تضعه في اللحد

وبينهما فُسحة:

-

ما أقصرها!

خرجت

وواصلت المشي في فسحتي

صيد

النهار يغمض عيونه الأخيرة
ذراعاي مجذافان متعبان
أجرجر شباكي إلى سريري
وأفرغ الدقائق
أسماكاً ميّتة

الخريف في الجنّة

الأشجار دائمة الخضرة
ريح خفيفة
الكهول يقرأون الجرائد
الأطفال يلعبون
الأمّهات يراقبن
وهمس يدور:
ملاكٌ آخر
انتحر
الليلة الماضية

الفهرس

هذا الكتاب

وجهي صورة قديمة

معلّقة على جدار غرفة مقفلة

في بيت مهجور

هذا العنكبوت جاري الوحيد

يبدأ يومه

هامساً:

«ما زلتَ هنا؟

سأنسجُ لنا شبكة جميلة

وسننتظر»

صورة الغلاف: سنان أنطون
الغلاف : سكينة صلوَن
ISBN 978-9922605067
9 789922 605067

